اقتصاد نفسى

منير عامر

يكتب

فى قيمة مصطفى الفقى

يحدث فى بعض الأحيان أن تحاصر الانكسارات الروح، ويحدث فى أحيان أخرى أن يزدحم الواقع بأقزام منفوخة تجيد الرضوخ ولا تملك إضافة ما.

هذا ما شعرت به فى بدايات الخريف الماضى، إنفجر قلمى غضبا من قول أحدهم «عندما تنتهى مدة عمل إسماعيل سراج الدين فى مكتبة الإسكندرية، لن نجد شخصية ذات تأثير يمكن أن تواصل النهوض بالمكتبة». وعندما سمعت هذا القول تجلت أمامى صورة د. مصطفى الفقى الذى عرفته منذ أن دخل «روزاليوسف» وكان على موعد مع صديق العمر محمود المراغى، وبعد أن أنهى مقابلته مع محمود المراغى سألنى سؤالا واحدًا: «هل من الأفضل العمل فى الصحافة أم فى السلك السياسى؟». وكنت فى نفس اليوم قد سمعت من زميلتنا عايدة العزب موسى قول والدها الصحفى المخضرم والكبير «عيب الصحافة، أن العامل فيها يكبر فى العمر وتقل قيمته الاجتماعية تدريجيا». وعندما طبقت تلك القاعدة التى نطق بها صحفى مخضرم وجدت لها ظلا كبيرًا من الحقيقة.

فليس كل صحفى هو محمد حسنين هيكل أو إحسان عبد القدوس أو فتحى غانم أو أحمد بهاء الدين، فضلا عن أن الأنظمة السياسية تستخدم الصحفيين كأبواق، وعندما يخفت بريق النظام السياسى تخفت معه قيمة الصحفى.

أتذكر أننى قلت لعايدة العزب موسى «سأخذ نصيحة والدك وأطبقها بطريقتى وهى ألا أكون غير نفسى، ولن أكتب ما يخالف ضميرى لكننى سأحتفظ بما تعلمته من صديقى شعراوى جمعة وزير داخلية عبد الناصر، وكان معه أمين هويدى الذى شغل منصب وزير دولة لرئاسة الجمهورية، قال لى شعراوى جمعة «عليك بالثقة فيمن تلتقى معهم أثناء العمل بنسبة خمسة وخمسين بالمائة، واحتفظ بنسبة خمسة وأربعين بالمائة لحساب مناقشة سمات من تتحدث معه». ووافقه أمين هويدى على ذلك فضحكت من الاثنين قائلا :«هل سأحول قلبى إلى ميزان مشاعر؟ أنا واحد من الناس إما أن أحب وإما أكره ولا وسط بين الأمرين».

وقد قال الاثنان ذلك لأننى كنت قد دخلت فى معركة مع سفيرنا بباريس عبد المنعم النجار، وكان قد دس على شخصى خبرا كاذبا، وأرسلته لإحسان عبد القدوس، فرد لى إحسان الخبر مع تكذيب له منشور فى أهرام محمد حسنين هيكل، وكان الخبر المدسوس عن قرار الجنرال ديجول بمنع تسليح إسرائيل، وكان التكذيب عبارة عن بيان أخير بأسلحة وصلت من فرنسا لتل أبيب، فما كان منى إلا أن نزلت من فندقى الباريسى لأدخل على السفير سائلا إياه «من قام بتعيينك هنا؟»، أجابنى «جمال عبد الناصر»، قلت «لقد ظلمك لأن آخر ما تصلح له مكانك هنا».

وطبعا كتب السفير تقريرا حادا وكاذبا فى مجمله عن شخصى، وعدت إلى القاهرة لألتقى مدير الخدمة السرية للمخابرات العامة محمد زغلول كامل الذى طمأننى إلى أنهم يعلمون أكاذيب السفير وأنه ليس الشخص المهم للسفارة، وقد ثبت لى فيما بعد أن اسمه قد أرسل لكل من إسبانيا والجزائر والمغرب، وقد رفضت الدول الثلاث تعيينه لديها، وكان جمال عبد الناصر يصر على أن يظل الرجل خارج أرض مصر، فأرسل اسمه كسفير لنا فى باريس على أن يسنده كل من د. عصمت عبد المجيد كوزير مفوض، فضلا عن ضابط مخابرات محترف هو محمد شكرى حافظ الذى سبق أن كشف أكثر من خلية تجسس.

ومن قال لى تلك المعلومات هو شعراوى جمعة وزير داخلية عبد الناصر وأمين التنظيم الطليعى، وكان سؤال مصطفى الفقى عن العمل فى الصحافة أم السلك السياسى فى تلك الفترة من الزمن، طبعا كان وجود عقل وخبرة ودأب مصطفى الفقى فى السلك السياسى هو أمر مطلوب ومشرف، ولعله واحدًا من قلة لم يلتحق بالخارجية عبر امتحاناتها، ولكن لتفوقه السياسى ونزاهة آرائه.

وطوال رحلة مصطفى الفقى سواء إبان عمله فى إدارة المراسم مع دمث الخلق الصديق الجميل السفير جمال منصور أو إبان رحلته إلى الهند ثم بريطانيا لينال الدكتوراه فى شأن مصرى أصيل ألا وهو الموضوع الطائفى الذى لا يظهر فى سلوك المصريين، ثم بعد ذلك مساعدته لأسامة الباز المدير السياسى لمكتب الرئيس، وليتولى بعد ذلك منصب مدير مكتب المعلومات ليكون من أدق العاملين فى هذا الموقع حرصا وأمانة، لكن الدسائس لها أساتذة فى محيط مبارك، وتنجح الدسائس فيبتعد عن مكتب الرئيس ليزين موقع سفير مصر فى فيينا. ويعود ليجد حصارا غير مرئى فهو عقل له حساسية قارئ إتجاهات السياسة العالمية وهو الحريص على قيمة ومكانة مصر. وتقع ثورة يناير لتتلوها ثورة الثلاثين من يونيو، ويفرغ منصب أمين الجامعة العربية، لكن دولة ما تصر على رفض هذا الشخص القادر على نفخ الروح فى كيان تلك الجامعة.

وأخيرا يفرغ منصب أمين مكتبة الإسكندرية، وبإحساسى عبر فهمى لتربية مصطفى الفقى بشمولية معرفته ودقة أدائه أقوم عبر هذه الجريدة «روزاليوسف اليومية» بترشيحه للمنصب.

حدث هذا فى سبتمبر الماضى. ولما جاء نبأ ترشيحه قلت لنفسى «يبدو أن القيادة قد وضعت أذنها على قلبى لتقرأ ما فيه من احترام لمصطفى الفقى ونزاهته وقدراته، فوافقت على ترشيحى وليصدر قرار الترشيح بعد ثمانية أشهر تقريبا».

وفى الجعبة الكثير من الأحلام لمكتبة الإسكندرية وسنواصلها تباعا، ثقة فى أن المكتبة على يديه ستصبح بيت تفكير واستكشاف رؤى.

أهلا مصطفى الفقى

أهلا مكتبة عالمية أنت تديرها.